

الموحّدون وبنو غانية

علي أحمد

تعد حركة بني غانية من أكبر الحركات التي قامت ضد الموحدين وأكثرها أهمية وخطرا ، فقد جاءت في وقت اشتدت فيه الهجمة الأوروبية ضد العرب والمسلمين وشملت كل ديار العرب والاسلام في المشرق والمغرب ، وعاقبت تدخل الموحدين في الاندلس ، في حين كانت فيه قوى الخصوم في أحسن أحوالها ، تسير نحو التوحيد ، وقد ازدادت تصميمها على طرد العرب والمسلمين من الاندلس .

ومما ساعد على قوة هذه الحركة واستمرارها ، أن بني غانية استمالوا الى جانبهم جميع العناصر الناقمة على الموحدين ، مثل القبائل الصنهاجية وبني حماد ، وقوات الهلاليين والسليميين والغز ، الذين كان الموحدون يرون أنهم ما قدموا لأفريقية الا للقضاء عليهم ، وبخاصة أولئك الذين أرسلهم صلاح الدين الايوبي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وعدوا استمرارا لمن سبقهم من قبائل هلال وسليم في القرن السابق . اضافة الى بعد عاصمة الموحدين عن منطقة نشاط بني غانية ، وعدم وجود جيش قوي لهم في أفريقية للدفاع عنها . ومن جملة ما أسفرت عنه هذه الحركة ، عدا الخراب والدمار الذي حل بحواضر المغرب العربي جراء العمليات الحربية ، ظهور دولتين جديدتين في المغرب : الدولة الحفصية في تونس التي عاشت حتى قضى عليها العثمانيون في القرن السادس عشر ، ودولة بني عبد الواد في تلمسان .

اصل بني غانية :

كان الحاكم المرابطي الثاني علي بن يوسف بن تاشفين قد أرسل الى الاندلس رجلين ، أولهما يحيى وثانيهما محمد ، وهما من قبيلة مسوفة الصنهاجية ، والدهما يدعى علي ، وقد عرفا **ببني غانية** نسبة الى أمهما ، وهي أميرة مرابطية زوجها يوسف ابن تاشفين لعلي المسوفي زعيم مسوفة . وقد عرف يحيى بشجاعته النادرة ، فكان على بن يوسف بن تاشفين يعتمد عليه في الامور الكبيرة والمهمات الصعبة ، فقد ولاه أول الامر على مرسية ثم بلنسية ، وذلك بعد وفاة واليها بدر بن ورقاء ، حيث نجح في الوقوف في وجه ملك آراغون (١) ثم جعله واليا على قرطبة ، وبقي واليها حتى مات .

واثناء ولايته على بلنسية وفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٣م القى ابن رذمير البرشلوني الحصار على مدينة افراغة ، وعندما طال الحصار ضاقت أحوال السكان فيها فكتبوا الى ابن غانية طالبين منه مد يد المساعدة ، والا فانهم سيعطون أمر القيادة الى ابن رذمير ، فاستجاب لطلبهم وأخذ يستعد للقائه . فقال له بعض خواصه : « ليس للمسلمين عسكر بالاندلس سواه (جيش ابن غانية) فكيف تلقى علي بن يوسف بعد اليوم وقد انهزمت ، فقال ، فليصنع بي ما شاء . . . » . وتوجه بمن معه من الجيش واستطاع أن يفك الحصار على مدينة افراغة (٢) .

اما محمد الاخ الثاني ، فقد كان واليا على بعض أعمال قرطبة ، ولكن أحواله اضطربت عند موت أخيه يحيى ، فشرع في التجوال في بلاد الاندلس ، في الوقت الذي كانت تقوى فيه دعوة المصامدة وتنتشر (٣) فلما استبد به الخوف قصد مدينة دانية ، ومنها عبر الى ميورقة ، بأمر من ابن تاشفين على حد قول بعضهم ، يرافقه جميع أهله ، فاستولى عليها وعلى جزيرتين أخريين ، هما منرقة ويابسة . ويرى بعض المؤرخين ، أن الحاكم المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين ، هو الذي نفاه الى هناك بقصد أن يسجنه (٤) .

استقل محمد بن غانية بحكم هذه الجزر استقلالا تاما . وكان يعتمد في الانفاق على وارداتها ، اضافة الى وارداته من أعمال الغزو والقرصنة . وحتى يضفي على سلطته الصفة الرسمية ، كان يدعو لبني العباس ، باعتبارهم رمز الخلافة الواحدة (٥) وقد أطلق الجغرافيون المحدثون على الجزر الآنف الذكر ، اسم جزر (الباليار) وأكبرها جزيرة (ميورقة) . ويحدها من الجنوب بجاية ومن الشمال برشلونة ومن الشرق منرقة ومن الغرب يابسة . ويبلغ طولها نحو سبعين ميلا ، وعرضها خمسين . فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م ، وتعاقب عليها ولاية متعددون في عصر المرابطين ، الى أن وليها محمد بن علي بن غانية المسوفي (٦) .

اما جزيرة منرقة ويابسة ، فهما ابنتا جزيرة ميورقة . وتشتهر يابسة بكرومها وأعنانها ، وفيها بعض الانهار ، وأقرب أرض برية لها ، هي مدينة دانية (٧) .

علاقة بني غانية بالموحدين :

استمرت الحرب بين المرابطين والموحدين قرابة سبع سنوات من سنة ٥٣٤ هـ - ٥٤١ هـ / ١١٣٩-١١٤٧م . انتصر الموحدون في نهايتها بقيادة عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت ، الذي استطاع أن يضم الى حكمه معظم الاراضي المغربية والاندلسية (٨) الا أن بني غانية ، حكام جزر الباليار ، لم يمثلوا لطاعته ، بل كانوا يحلمون بالسيطرة على المغرب والاندلس على حد سواء . وعلى الرغم من أن عبد المؤمن

استطاع أن يخضع معظم أنحاء المغرب والاندلس لسلطانه ، الا أنه لم يتصد لبني غانية الخارجين على سلطته ، والذين يدعون لبني العباس . ويبدو أن ذلك لم يكن واردا في برنامجه ، لاسباب لا نعرفها على وجه الدقة ، الا أنه من الممكن القول ، ان بُعد جزر ميورقة وباسية ومنرقة ، كان سببا مهما في تأجيل ضم الموحدين لها الى وقت يكون مناسباً في المستقبل ، هذا اضافة الى أن عبد المؤمن بن علي لم يكرس كل وقته للاندلس . واستمر الوضع على هذه الحال طوال فترة حكم عبد المؤمن وابنه يوسف بن عبد المؤمن تقريبا ، الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م . الا أنه أرسل وفدا في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٤م الى اسحق بن محمد بن محمد بن غانية (٩) ، يدعو للخضوع ، لكنه رفض ذلك ، واستمر في الاعتراف بسيادة العباسيين في بغداد . وتجنب الصراع مع الموحدين بتقديم هدايا ثمينة للخليفة الموحي (١٠) .

وكان الحاكم الموحي يأمل ، أن يكون ذلك مقدمة للاعتراف بسلطانه والخروج من الدعوة للعباسيين . لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فظل الامر عند حدود الاتفاق ، مما جعله يقوم بمسعى آخر ، ومات قبل نجاحه (١١) .

بعد وفاة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م (١٢) ، تولى **أبو يوسف المنصور** . وفي الوقت نفسه مات اسحق بن محمد بن غانية وترك خلفه تسعة أولاد ، وكان عهد بالحكم من بعده لأكبرهم علي (١٣) ، وقد عرف بمعارضته الشديدة للموحدين .

وفي بداية حكم يعقوب المنصور ، أرسل قوة بقيادة أبي الحسن علي بن البربرتي الى جزيرة ميورقة ، ليعرض على ابن غانية علي بن اسحق الدخول في طاعته . فأبحر أبو الحسن من مدينة سبتة الى جزيرة ميورقة ، وقوبل بالترحاب عند وصوله اليها . وبينما كان منشغلا في الجدل مع أعيان الجزيرة ، أرسلوا من قام بنهب عدة المراكب ، التي أبحر عليها عند انطلاقه من مدينة سبتة ، ثم اعتقاله ووضعوه في الاسر (١٤) . وهذا يعرف بني غانية يعني الحرب ، لذلك صمم علي بن اسحق بن غانية على الهجوم على الموحدين ، فقام بغزو المغرب الشرقي . ويبدو أن بني غانية كانوا على درجة من القوة تسمح لهم بالغزو ، اذا قارنا ذلك بالوضع القائم في شرق المغرب ، حيث كان الخليفة الجديد أبو يوسف ، ما زال منصرفا الى تثبيت مركزه (١٥) . بالاضافة الى ذلك ، هناك عوامل أخرى تبدو مهمة شجعتهم على الغزو ، لعل في مقدمتها أن أهل بجاية هم الذين دعوا ابن غانية الى امتلاك مدينتهم عوضا عن الموحدين ، الذين كانوا مشغولين في الاندلس بوفاة الأمير يوسف بن عبد المؤمن وبيعة أبي يوسف يعقوب بن يوسف . فقد ظن ابن غانية أن أمرا ما سيسبب خلافا بين زعماء الموحدين . ولولا ذلك لما تشجع على الخروج الى بجاية (١٦) . ويمكن القول ، أن دعوة أهل بجاية الى ابن غانية بالمجيء لاحتلال مدينتهم ، يكمن خلفها وعد بمساعدته ، ومثل هذه المساعدة تكون قوية في غالب

الاحيان ، لانها نابغة ربما عن قناعة لسبب من الاسباب كانوا يعانون منه ، أو أنهم يرومون من وراء ذلك أشياء أخرى قد يحصلون عليها في ظل حكم بني غانية . هذا بالإضافة الى وفاة أمير المدينة الموحدى . وإذا كان لنا من كلمة نقولها ، فهي أن بني غانية أحسنوا التوقيت في هجومهم .

ففي شعبان من سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م هاجم علي بن غانية مدينة بجاية واحتلها دون صعوبات تذكر ، وقبض على السيد أبي موسى بن عبد المؤمن ، وكان قافلا من من افريقية يؤم المغرب مع أهله وذويه . وتوجه ابن غانية بعد ذلك الى محاربة أبي الربيع حاكم المدينة الجديد الموحدى ، وكان بالقرب منها عند دخول ابن غانية إليها ، فالتقى معه في موقع يقال له (باميلول) ودار قتال أسفر عن هزيمة أبي الربيع بعد أن استشهد معظم رجاله ، ففر الى الجزائر ، فوجدها غير مناسبة لانها كانت غير حصينة ، ففادرها الى تلمسان واستقر بها . ولم يقف ابن غانية عند هذا الحد إنما توجه الى الجزائر فاحتلها وولاه لابن أخيه طلحة ، ومن ثم ذهب الى مليانة فاستولى عليها أيضا وولى عليها بدر بن عائشة (١٧) . وبذلك سيطر على افريقية كلها ما عدا تونس والمهدية وقسنطينة . وساعده في ذلك ، أنه استمال الى جانبه قبائل سليم ورباح وجشم وغيرها من القبائل التي كانت قد هاجرت من المشرق خلال النصف الاول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . هذا بالإضافة الى أنه عقد حلفا مع الأتراك ، الذين أرسلهم صلاح الدين الأيوبي الى ليبيا واحتلوا معظمها آنذاك بقيادة (قراقوش) . فقد كان صلاح الدين الأيوبي يود أن يمد ملكه الى المغرب بأسره ، في الوقت الذي كان العرب يعيشون أسوأ أيامهم من جراء التهديدات الصليبية المستمرة في المشرق والمغرب على حد سواء . وكان صلاح الدين قد جرب الطرق السلمية للالتقاء مع الموحدين ، بأن أرسل اليهم بعض السفارات التي لم تسفر عن نتائج ايجابية . ولكن الذي يجب أن يشار اليه هنا قبل كل شيء هو أن تحالف قوات صلاح الدين الأيوبي مع بني غانية ضد الموحدين ، لم يكن القصد منه الحصول في النهاية على مكاسب اقليمية فردية ، بقدر ما كان لأجل إعادة اللحمة بين جناحي العرب والاسلام في الشرق والغرب ، وبالتالي الوقوف بقوة في وجه الهجمة الصليبية . والامر يختلف بالنسبة لمقاصد بني غانية وأهدافهم من تمردهم ضد الموحدين والذي كان يهدف الى تحقيق مكاسب شخصية تتمثل في حب السيطرة وشهوة الحكم والظهور . وهكذا فقد اجتمعت جميع هذه القوى تحت طاعة المتمردين ابن غانية ولقبوه أمير المسلمين (١٨) .

وهذا الاحتلال السريع من قبل قوات بني غانية والقوات المساعدة لها من أن أتراك وهلالين وسليبيين ، ان دل على شيء فانما على ضعف شديد في القوى المدافعة عن تلك المدن، وربما لأن الموحدين لم يعتمدوا قوات كبيرة للدفاع عن تلك المناطق . وفوق كل هذا ، اعتمدت القوات المتمردة على عنصر المفاجأة والسرعة وحسن التوقيت ، الامر الذي ساعد على احتلالها خلال وقت قصير جدا ودون صعوبات كبيرة .

وقد وجد ابن غانية ، أن ما فعله هو فوق قدرته وطاقته ، وأنه لا يستطيع أن يحافظ على كل ما احتله من أرض ، وأن أخطارا كبيرة ستهدده اذا ما توغل أكثر . لذلك أثر العودة الى مدينة بجاية وأخذ البيعة من أهلها ، وبعد أن نهب جميع أموالها وممتلكاتها ، توجه الى قسنطينة وألقى عليها الحصار (١٩) .

ولما سمع الحاكم الموحدى يعقوب المنصور بأفعال ابن غانية هذه ، شرع في تجهيز جيش كبير انتقى له أشجع رجاله ، وترك لهم وقتا كافيا كي يتدربوا على استعمال الآلات الحربية بشكل جيد ، وزودهم بأموال كثيرة ، وأوكل قيادة الجيش لأبي محمد ابن أبي اسحق بن جامع ، فانطلق من مدينة سبتة باتجاه فاس وتوقف فيها فترة وجيزة تابع بعدها الى تلمسان ، وكان واليها في ذلك الوقت السيد أبا الحسن بن السيد أبي حفص الى جانب أبي الربيع ، الذي استقر فيها بعد هزيمته من قبل بني غانية على الصورة التي ذكرت آنفا . ومن تلمسان تابع الجيش سيره الى الجزائر ، فاحتلها اضافة الى مليانة ، وهرب واليها بدر بن عائشة الذي ولاه علي بن غانية ، ومنها استمر زحفه الى بجاية ، واستطاع أن يسترجعها بعد أن فر واليها ولحق بعلي بن غانية ، الذي كان ما زال على حصار مدينة قسنطينة وكان ذلك في ربيع عام ٥٨١هـ / ١١٨٥ م .

وأخيرا اضطر بنو غانية للهرب باتجاه الشرق ، بعد أن أقلعوا عن حصار قسنطينة (٢٠) ، في هذه الاثناء حدثت تغيرات هامة في جزر البليار ، فعندما كانت قوات ابن غانية تتراجع مهزومة أمام الموحدين ، حدثت ثورة من قبل أبي الحسن بن البربرير ، بعد أن تمكن من التخلص من سجنه . وساعده في الثورة سكان الجزر من المسيحيين (٢١) فأعمل القتل في أهلها بعد نهب ممتلكاتهم ، وعقد صلحا مع أبي عبد الله بن اسحق بن غانية على الطاعة للموحدين واقامة الخطبة للمنصور الحاكم الموحدى (٢٢) .

وفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م جهز يعقوب المنصور جيشا كبيرا من الموحدين وقصد مدينة تونس ، وهناك دارت معركة قاسية بين الطرفين ، في موضع يدعى عمرة (٢٣) ، هُزم فيها الموحدون وقتل معظم قادتهم وأشياخهم . ولكن المنصور لم يسكت على الهزيمة ، فسار على رأس الجيش هذه المرة باتجاه القيروان ، ومنها تابع زحفه حتى وصل على بُعد عشرين كيلومترا من بلدة (الحامة) حيث دار قتال بينه وبين قوات بني غانية ، أسفر عن هزيمة هؤلاء (٢٤) . وتمكن المنصور من فتح مدينة قابس ، ثم توجه الى قفصة ، وكانت قد انتفضت الى جانب بني غانية ، وبرىء أهلها من طاعة الموحدين ، وبعد حصار طويل دخلها عنوة ، وأعمل القتل بأهلها وفي ذلك يقول الشاعر الزويلي :

سائل بقفصة هل كان الشقي لها	وكانت له حمالة الحطب
لما زنت وهي تحت الامر محصنة	حبصتموها أتباع الشرع بالحصب (٢٥)

وفي هذه الاثناء وصلت الى المنصور رسالة من قراقوش يعرب فيها عن رغبته في دخول طاعة الموحدين ، ومعه جميع عناصر الغز الذين جاؤوا من مصر كما ذكر (٢٦) .

وقد وجد الخليفة المنصور بعد ذلك ، أن من الضروري جدا اخضاع قبائل العرب الاخرى من هلال وسليم وغيرهما وحرمان ابن غانية من معونتهما ، فطاردهم وصادر املاكهم ، فجاءوا اليه طائعين تائبين ، فنقل أهل الخلاف والفتنة منهم الى المغرب الاقصى ليتقي شرهم ، وانزل قبيلة رباح من بني هلال ببلاد فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير الى أزغار البسيط الانج، ومنه الى ساحل البحر الاخضر . وانزل قبائل جشم ببلاد تاسنا ، ما بين سلا ومراكش (٢٧) . وبعد أن توطدت الامور في افريقية على هذا الشكل ، عاد يعقوب المنصور الى مراكش ووصلها ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، فوجد أن أخاه عمر وخاله سليمان ، استغلا فترة غيابه ، وأخذوا يعملان لعزله . لكنه تمكن منهما وقتلهما (٢٨) .

أما علي بن اسحق بن غانية ، فقد مات بعد معركة (الحامة) بوقت قليل ، وكان عند خروجه من جزيرة ميورقة قد اصطحب معه اخوته الاربعة ، عبد الله ، ويحيى وأبو بكر ، وسير ، فاتفقوا فيما بينهم على تقديم يحيى عليهم خلفا لأخيهم علي لما رأوا من شجاعته وشهامته ، وساروا باتجاه الصحراء وأقاموا حتى عاد المنصور الموحدى الى مراكش (٢٩) .

وقد تبين للمنصور الحاكم الموحدى ، بعد وصوله الى مراكش ، أنه ليس أمينا على حكمه اذا ترك مراكش وعاد الى تونس . لذلك فقد كان باستطاعة ابن غانية وانصاره استئناف نشاطهم الحربي ضد الموحدين ، وبالفعل استمرت ثورتهم بعد وفاة علي بن غانية سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م بقيادة اخيه يحيى (٣٠) . وقد برهنت الاحداث على أن قراقوش ، لم يكن مخلصا في اعلان الولاء والطاعة للموحدين ، فسرعان ما هرب من مدينة تونس ، وعاد الى الاستيلاء على البلاد ، مثل قابس وبلاد الجريد والاستبداد بمصائر أهلها . وهي المرة الاولى التي يقف فيها ضد بني غانية ، لأنه كان يرمي على ما يبدو الاستقلال عنهم وعن الموحدين على حد سواء ، بعد أن ظهر له عدم صعوبة تحقيق الاهداف ، التي دخل من أجلها الى المغرب وتورط في الصراعات على الحكم هناك . لذلك سار يحيى بن غانية لقتال قراقوش واسترداد البلاد منه ، فتحاشى قراقوش لقاءه وهرب الى ناحية طرابلس ، فلحق به ابن غانية وهزمه في موضع بالقرب من طرابلس ، ففر الى ودان جنوبي طرابلس ، وتمكن ابن غانية في النهاية من الاستيلاء على طرابلس ، وعين عليها ابن عمه تاشفين الغاني (٣١) .

وتظهر نتائج حركة بني غانية ومضارها في سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م عندما خرج يعقوب المنصور الى قتال الاسبان وحماية البلاد من هجماتهم ، في هذا الوقت بالذات قام بنو غانية وعادوا الى احتلال افريقية مستغلين غياب الجيش الموحدى عن البلاد ،

الامر الذي اجبر المنصور الموحيدي على عقد صلح معهم لمدة خمس سنوات ، وعاد الى
مراكش سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م (٢٢) .

ولا يستبعد أن يكون السبب ، الذي دفع المنصور الى عقد الصلح مع بني غانية ،
انه بحسه الوطني العميق والمسؤول ، وجد من الخير الاستمرار بمقاتلة الاسبان على
اعتبارهم كانوا في ذلك الوقت العدو الرئيس ، الذي يهدد وجود العرب المسلمين
ومستقبلهم ، وأن قواته كانت منهكة لا تستطيع الانتقال من معركة الى أخرى ،
او ربما حدثت أمور في العاصمة المركزية مراكش ، الى غير ذلك . وبقي هذا الوضع
قائما في افريقية ، حتى بعد وفاة المنصور بعدة سنوات .

جاء الى الحكم بعد وفاة يعقوب المنصور أبو يوسف ابنه محمد الناصر بن المنصور .
وقد ظهر حينذاك أن سيطرة الموحدين على تونس كانت أضعف من أي وقت مضى ،
وما لبثت أن تلاشت لفترة قصيرة . ولم يعد ابعاد يحيى بن غانية عن جنوب تونس
وطرابلس أمرا سهلا (٢٣) ففي سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م تحرك عبد الله بن اسحق بن محمد
ابن غانية باسطوله الى مدينة بابسة ، لكنه فشل في احتلالها فتوجه الى جزيرة ميورقة
وأحكم الحصار عليها حتى ضاقت أحوال أهلها فسلموا اليه الجزيرة فولاه لابن نجاح .
ولم يدم ذلك طويلا حيث خرج اليه السيد أبو الحسن العلي في أسطول من مدينة سبتة
وتمكن من دخول الجزيرة وبطش بأتباع ابن غانية وقبض على ابن نجاح (٢٤) .

وفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م انطلق الناصر الموحيدي على رأس جيش عن طريق البر
باتجاه تونس ، وفي الوقت نفسه أبحر الاسطول من مدينة سبتة . أما يحيى بن غانية
فلم يكن متأكدا من ولاء السكان الذين مالوا الى الموحدين ، يأملون منهم إعادة النظام
والاستقرار اللذين فشل في تحقيقهما علي بن غانية . يضاف الى كل ذلك أن يحيى بن
غانية لم يكن يملك القوة العسكرية التي تستطيع ايقاف تقدم جيش الموحدين ، كما انه
لا يستطيع البقاء في تونس دون أسطول يحميه من جهة البحر (٢٥) .

وانطلاقا من هذه الاسباب ، التي تبدو مقنعة الى حد كبير ، وجد يحيى بن غانية
أن من الافضل اللجوء الى المهدية ، فتوجه اليها وعمل على تحصينها وشحنها بالعدد
الحربية ، وترك فيها اشد رجال جيشه واشجعهم على خوض المعارك (٢٦) وتابع بعد ذلك
باتجاه منطقة الجريد ، كي ينظم المقاومة القبلية هناك . ولما وصل أسطول الموحدين الى
تونس ، استسلمت دون قتال ، وأصبح الناصر قادرا على الاستمرار باتجاه الجنوب
في الحال .

في الوقت نفسه كانت طرابلس ، قد أعلنت ثورتها ضد ابن غانية ، فهاجمها
ودخلها ونهبها ، وذهب فاختمى في جبل دمر (٢٧) .

وبقي الحاكم الموحيدي الناصر يلاحق اخبار ابن غانية طوال ذلك العام . وفي شهر محرم من سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م نزل الناصر بالقرب من صفاقس ، واستطاع بعد فترة قصيرة أن يطهرها من قوات ابن غانية . وفي هذا الوقت بالذات انقض أنصار ابن غانية الذين كان قد أبقاهم في المهديّة على أولئك النازلين بالقرب من المهديّة من قوات الموحيدين ، وتمكنوا من الايقاع بهم فقتلوا الاكثرية الساحقة منهم ولاذ الناجون بالفرار . عند ذلك توجه الناصر الى المهديّة ونزلت قواته في ضواحيها وفرض عليها الحصار ، فوجد أنصار ابن غانية من المستحسن الارتحال الى حيث نسائهم ، فتقوى عزائمهم في الدفاع والقتال على غرار الجاهلية ، فارتحلوا الى ضواحي قابس .

وفيما كان الناصر يقوم بتجهيز قوة لملاحقتهم وصل اليه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، وخرج مع الموحيدين الى حيث قوات واتباع بني غانية في ظواهر قابس ، حيث دار قتال بين الطرفين أسفر عن هزيمة قوات ابن غانية ، في الوقت الذي بقي حصار المهديّة قائما ، حتى أعلن أهلها الرغبة في الدخول في طاعة الموحيدين ، وبقي الناصر فيها حتى رتب أحوالها ، ثم عاد الى تونس (٢٨) وقبل أن يغادرها في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٧ م عين محمد بن أبي حفص حاكما على افريقية ، وهو من أصحاب ابن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية .

وكان لهذا التعيين اهميته البالغة بالنسبة لتونس ولحركة بني غانية ، لأن تونس كانت الخطوة الاولى في وجود أسرة الحفصيين التي حكمت المنطقة حتى الفتح العثماني في القرن السادس عشر . أما بالنسبة لابن غانية ، فلم تعد تونس سهلة المنال عليه .

وكان تعيين محمد بن أبي حفص هذا بناء على الحاجة وعلى قواعد مؤقتة . ولكي يستميله الناصر لقبول هذا التعيين أعطاه صلاحيات كاملة في اختيار مساعديه وتنظيم جيشه . ثم أصبح هذا التعيين دائما ، لأن الناصر وجد عذرا مناسبا لتأجيل ارسال بديل عنه (٢٩) .

وفي سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م أعفى السيد أبو الحسن الموحيدي من ولاية تلمسان لمرض أصابه وعين بدلا عنه السيد أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن ، وانسحب في عسكره عن المدينة ، فتسلل الزناتيون الى ابن غانية ، وأعلموه خبر انسحاب الجيش من تلمسان . ومن جهة ثانية ذهبوا الى السيد أبي عمران وهونوا عليه الامر تارة وحرضوه على لقاء ابن غانية تارة أخرى . وكانت قواته ضعيفة وغير مستعدة بصورة جيدة ، ففوجيء أبو عمران بهجوم أتباع ابن غانية ولم يتمكن من الصمود ، فقتل وفر من تبقى من جيشه . وعندما وصل الخبر الى الناصر جهز جيشا كبيرا وأقر عليه الوزير أبازيد بن يوجان . وسمع بنو غانية بقوة هذا الجيش وتجهيزه فانسحبوا من تلمسان باتجاه طرابلس .

وفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م استطاع الشيخ محمد بن أبي حفص والي افريقية أن يظهرها من الميارقة وأتباعهم ، واستولى على جميع ممتلكاتهم ، وفي السنة التالية وصل ابن اسحق بن غانية الى مراكش وأعلن تخليه عن بقية اخوته وأتباعه ، فأكرمه الناصر .

وكان الناصر قد ولى جزيرة ميورقة لأبي يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران بدلا من أبي عبد الله بن أبي حفص وأرسله واليا على بلنسية (٤٠) بعد وفاة محمد بن أبي حفص في شباط من سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢١ م انتقل يحيى بن غانية الى جنوب تونس وبقي هناك حتى وصل الحفصي الثاني أبو محمد عبد الله في تشرين الثاني سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٦ م وتولى الحكم في تونس ، فانتقل يحيى بن غانية الى الشمال الغربي . وفي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٧ م فتح الجزائر لكنه لم يتمكن من البقاء فيها . ويمكن اعتبار ذلك اشارة البدء في انهياره ونهايته كقائد سياسي .

وخلال السنوات العشر التالية ، عاش يحيى بن غانية قاطع طريق ، حتى وافته المنية سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٧ م (٤١) .

وينعد تعيين الناصر لمحمد بن أبي حفص على ولاية افريقية (٦٠٣ هـ / ١٢٠٧) بداية النهاية لحركة بني غانية .

الحواشي

- (١) المراكشي (عبد الواحد) المعجب في تلخيص أخبار المغرب القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٦٧ .
- (٢) ابن القطان ، نظم الجمان من أخبار الزمان نشر محمود علي مكي، تطوان ١٩٦٤ ص ٢٢ وما بعدها .
- (٣) المقصود بدعوة المصامنة (دعوة الموحدين) .
- (٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٤٣ وما بعدها . ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن) العبر والابتداء والخبر ، ج ٦ ص ٢٤٢ طبعة بولاق .
- (٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٤٤ .
- (٦) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ، القاهرة ١٩٣٧ ص ١٨٨ .
- (٧) صفة جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار ص ١٩٨ .
- (٨) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٧ وما بعدها .
- (٩) تولى اسحق بن محمد بن غانية الحكم بعد وفاة أبيه محمد بن علي . وكان هذا قد عهد بالحكم من بعده لابنه الأكبر عبد الله ، ولكن اسحق ذهب الى أخيه مع مجموعة من الجند فقتلوه . وفي رواية أن ذلك حدث قبل وفاة أبيه ، وفي رواية أخرى بعد وفاته . انظر : المعجب ، ص ٣٤٩ .
- (١٠)

Jamil, M. Abu a - nasr, History of theMaghrib, Cambridge, the University Press, 1971 , p. 115 .

عنان (محمد عبد الله) دولة الاسلام في الاندلس، القسم الثاني ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٤٧ .

- (١١) بدر (أحمد) مقرر المغرب والاندلس ، طبعة الامالي الجامعية ، دمشق ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ص ١٨٥ .
- (١٢) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب ج ٣ ، تطوان ١٩٦٠ ص ١٣٩ .
- (١٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٥ ، كتاب العبر والمبتدأ والخبر ، ج ٦ ص ٣٩١ - ٥٠٧ .
- (١٤) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٦ .
- History of the Maghrib , p. 115 (١٥)
- (١٦) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٤٥ ، البنداري (الفتح بن علي) سنا البرق الشامي ، تحقيق رمضان شنشون ، القسم الاول ، دارالكتاب الجديد ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧١ ص ١٣٧
- (١٧) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٧ - ١٤٨ ، الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٠٦ ، كتاب العبر والمبتدأ والخبر ج ٦ ص ٣٩٢ .
- (١٨) الكامل في التاريخ ج ٩ طبعة مصر بدون تاريخ ص ١٧١ كتاب العبر ج ٦ ص ٣٩٦ .
- History of the Maghrib , p. 115 (١٩) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٨
- (٢٠) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٩ وما بعدها .
- (٢١) History of the maghsib p. 115
- (٢٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٥ - ١٥٦ ، اماري (ميخائيل) المكتبة المصقلية طبعة بالافست عن طبعة لايتزغ ١٨٥٧ م ص ٧ - ٨ .
- (٢٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٢ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
- (٢٤) الزركشي (محمد بن ابراهيم) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٦ ص ١٦ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٤٩ .
- (٢٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، كتاب العبر والمبتدأ والخبر ج ٦ ص ٣٩٧ - ٣٩٨
- (٢٦) دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الثاني ص ١٦٥ .
- (٢٧) أبو رميلة (هشام) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار الفرقان ، عمان ١٩٨٤ ص ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٢٨) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٧٢ .
- (٢٩) المعجب ص ٣٤٩ .
- History of the Maghrib , p. 116 (٣٠)
- (٣١) العبر والمبتدأ والخبر ج ٦ ص ١٩٣ وما بعدها ، دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الثاني ص ١٩٥ .
- (٣٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢٢٣ ، كتاب العبر والمبتدأ والخبر ج ٦ ص ٥١١ - ٥١٢ .
- History of the Maghrib , p. 116 (٣٣) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١١
- (٣٤) البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٦ .
- History of the Maghrib , p. 117 (٣٥)
- (٣٦) البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٩ ، الحميري (محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، دار العلم للطباعة ، بيروت ١٩٧٥ ص ٥٦٧ .
- History of the Maghrib , p. 117 (٣٧)
- (٣٨) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٠ وما بعدها .
- (٣٩) History of the maghrib P. 117 تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ١٢ - ١٣ .
- (٤٠) البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٨ وما بعدها .
- History of the Maghrib , p. 117 (٤١) كتاب العبر والمبتدأ والخبر ، ج ٦ ص ١٩٧